الفصل الرابع :

النرجسية

- أثر الهدي الإسلامي في علاج النرجسية .
- مفهوم النرجسية وأعراضها .
- النرجسية والعلاقات الزواجية .
- أثر الهدي الإسلامي في الوقاية من انحراف النرجسية .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع :

النرجسية

الهدي الإسلامي يُسهم في سعادة الفرد والمجتمع ، وفي تمتع الفرد بالصحة العقلية والنفسية الجيدة ويحميه من كافة الأمراض والعلل ومن وجوه الانحراف والجنوح والعنف والعدوان أو الغرور والكبر والصلف والتعالي وتوهم التفوق على كافة البشر . وإنما إسلامنا الحنيف يربى الإنسان على التوسط والاعتدال وعلى التواضع والكرم والجود والسخاء والتعاون وقبول الآخر واحترامه . ويربي الإسلام أبناءه على الواقعية والبُعد عن التطرف والشطط أو الغرور والمباهاة الزائدة . وفي هذا المقال ، المتواضع ، استعراض لحالة سلبية قد تُصيب الإنسان هي النرجسية وبيان فضل السبق الإسلامي في الوقاية منها ومن غيرها من آفات النفس وأدران القلب والعقل .

مفهوم النرجسية وأعراضها :

ماذا يحدث عندما تنحرف تلك العاطفة الإنسانية السامية في الإنسان ، وأعنى بها عاطفة الحب ؟ وهذه العاطفة التي حركت مشاعر الإنسان ، ودفعته إلى أن يأتي "بالمعجزات" والإنجازات الرائعة في الفن والعلم والأدب ، تلك العاطفة المسئولة عن بقاء النوع البشري والمحافظة عليه وارتقائه ، العاطفة التي تملأ قلب الأم فتضحي من أجل صغارها وتغمر وجدان الأب فيسهر من أجل إسعادهم ، إنها سبب ما في العالم من خير وبناء وتقدم وحضارة حين تتمثل في حب الإنسان لأخيه ، وحين تعمل كمحرك طبيعي وتلقائي للتضيحة والفداء والبذل والعطاء والتعاون والإخاء والوحدة والاتحاد والتماسك والالتحام بين الأفراد والجماعات ، بين الآباء والأبناء ، وبين الأصدقاء والخلان . إنها السبب الأول في إيثار أو

الأثرة وحب الغير أو الغيرية وتقدير المصلحة العامة ونبذ الأنانية والطمع والجشع والاستحواذ وحب التملك والتسلط والسيطرة والبطش والعدوان والعنف .

ماذا يحدث إذا انحرف الحب وتحول من حب الغير إلى حب الذات وعشقها ؟ أي ماذا يحدث عندما يُصاب الشاب أو الشيخ الكبير بما يُعرف باسم "النرجسية" Narcissism ؟ قبل أن نخوض ، مع القارئ الكريم ، في أعماق هذه النزعة ونتعرف على طبيعتها وأسبابها ومظاهرها نعرج على الأصل اللغوي لهذه الكلمة ، وبالطبع تطلق لفظة "نرجس" على الجمع من النرجسة أي نبات من الرياحين من فصيلة النرجسيات وأصله بصل صغير ، ورقة يُشبه ورق "الكرات" وله زهر مستدير أبيض أو أصفر اللون . أما الأصل الأسطوري لهذه الكلمة فيرجع ، بطبيعة الحال ، إلى قصة ذلك الفتى اليوناني الوسيم الجميل الشكل كما يصوره التراث الأسطوري الإغريقي وهو Narcissus والذي تذهب أسطورته بأنه افتتن بصورته كلما رآها في بركة من الماء كما افتتن بجمالها فلوى جسده وهو ينظر لصورته على صفحة الماء وتحول إلى نرجسة . وبذلك أصبحت النرجسة تُشير إلى افتتان المرء بجسده أو حب الذات أو عباد الذات أو الأنانية أو إلى عشق الذات . وفي مدرسة التحليل النفسي تعني حب الذات أو عشقها لا شعوريًا .

وطبقًا لمنهج سيجموند فرويد ، فلقد وصف فصام الشخصية أي إصابتها بما يُعرف في العامية (بالجنون) بأنه أحد الاضطرابات النرجسية Narcissistic Disorder وأن الطاقة الحيوية عند هؤلاء المرضى متركزة ومتمركزة أو جامدة حول الذات الوسطى في الإنسان Ego أكثر من كونها موجهة نحو الموضوعات الخارجية ، وأن المريض قد وقع في حب نفسه حتى بالمعنى الجنسي لكلمة حب ، فهو دائمًا مشغول البال بنفسه بصورة مكثفة ، فهو يمتلك ما يمكن أن نسميه في الشخص العادي الوعي بالذات أو الإحساس بالذات ، ولكنه في حالة الشخص النرجسي وعي إدراك مرضي Morbid-self-consiousness ذلك الوعي الذاتي يتسبب في كف أو منع العلاقات الشخصية مع الآخرين ، ويجعله يعاني من عدم الصراحة والخجل ، ومن المحافظة في اتجاهاته ومن الارتباط ولا سيما في حضور الناس الآخرين من الغرباء إلى الحد الذي قد يبلغ في الحالات المتطرفة من المرض أنه لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة . تدور خيالات الشخص الفصامي حول ذاته وفي بعض هذه الحالات يصور المريض

نفسه في قصصه بصورة البطل ، وهناك من قال من هؤلاء المرضى أنا "سويسرا" ، ومنهم من قال أنا "شركة" احتكارية ، ومنهم من قال أنه (الحكيم سقراط) ومنهم من قال أنا (هتلر) أو (نابليون) أو (نيرون) وكلها تعكس الإعجاب الزائد بالذات . وعندما يصف الفصامي جسمه بأنه مصنوع من "الزجاج" أو أنه مكون من جسم "مفرغ" إنما يعكس انشغال باله المكثف بذاته . وفي أحد تصنيفات سيجموند فرويد يقع ضمن النرجسية بعض الذهانات العقلية أو الأمراض العقلية مثل (الجنون الدائري وجنون الاضطهاد وجنون العظمة) Manic Depressive and Paranoiacs .

وكان فرويد يعتقد أن الطفل الصغير يهتم كثيرًا بأعضائه التناسلية ، وأنه يستمد لذة جنسية من أنشطة تشبه الاستمناء Masturbation ومص الأصابع والاحتفاظ بالبراز ، ولكن هذا النشاط الطفلي ليس من قبيل النرجسية ، وإن كان يمهد الطريق لها وعلى حد قول فرويد فإن الضوابط الاجتماعية تؤدي إلى قمع الذاتية الطفلية وغيرها من تعبيرات الطاقة الحيوية Libido عن ذاتها في حالة النرجسية تتجه الطاقة الحيوية نحو النفس أو الذات الوسطى ، وكان فرويد يعتقد أن النرجسية مرحلة من مراحل النمو الطبيعي . وعندما توجد النرجسية في الطفولة المبكرة يُطلق عليها النرجسية الأولية ، أما عندما ترتد الطاقة الحيوية من العالم الخارجي بما فيه من أناس وأشياء تتجه نحو الذات كما هو الحال في مرض الفصام نكون أمام ما يُعرف باسم النرجسية الثانوية ، وعندما توجد في الأطفال يوصف الطفل بأنه ذاتي الشهوة Autoerotic ، وفي حالات الفصام وجنون الاضطهاد والحزن الشديد فإن الطاقة الحيوية ترتد أو تنتكص في المرحلة النرجسية من مراحل النمو وفي حالة عصاب الهستيريا وعصاب الوسواس ، فإنها ترتد إلى موضوعات الحب الأولي .

ويفسر هذا فقدان الاهتمام الا شخص الفصامي بالعالم الخارجي وهذيان العظمة Grandeur ، وطبقًا لوجهة النظر الفرويدية فإن خط النمو يسير من الشكل البدائي لحب الذات Self-love عبر ارتباطات متعددة حتى يصل الفرد إلى مرحلة النضوج ، ومعنى ذلك ان الفرد وفي حالة سير النمو سيرًا طبيعيًا ينتقل من حبه لذاته إلى حبه الآخرين أي من الأنانية إلى الغيرية والإيثار Altruisism .

والحقيقة أن التطور الحديث لاستخدام هذه اللفظة يتسع ليشمل ليس فقط حب الذات ،

وإنما نزعة الفرد لكي يقدر تقديرًا عاليًا جدًا صفاته وخصائصه الجسمية ، بل وصفاته الشخصية وأفعاله العملية أكثر مما هي عملية في الواقع ، أي المبالغة في تقدير محاسن الفرد وأفعاله .

وقد تشير هذه الحالة كما تذهب "هورني" K-Horney إلى أنها تقمص الفرد أو توحده مع الصورة المثالية التي يرسمها لذاته وعشقه تلك الصفات البراقة والمعظمة أو المضخمة بصورة غير واقعية .

وتؤدي النرجسية إلى حل الصراعات التي يعاني منها الفرد ، وتلعب دورًا رئيسًا فيما بعد وتؤثر أكثر ما تؤثر في علاقته بزوجته .

النرجسية والعلاقات الزواجية :

يؤكد علماء النفس أن عاطفة الحب تمر بعدة مراحل في إطار تطورها ونموها من الطفولة حتى البلوغ ؟

(أ) حب الذات أي حب الطفل في مرحلة الرضاعة لذاته .

(ب) الحب الطفلي أي حب الطفل لوالديه .

(ج) حب الشباب المبكر أي حب الأصدقاء .

(د) حب الشريك أو الرفيق وهو الحب في مرحلة الرشد .

وعندما يظل موضوع الحب عند الفرد على المستوى الأول أي عند حب الذات ، فإننا نصفه بأنه شخص نرجسي ، وإذا بقي عند المستوى الثاني كان الشخص أوديبيًا أي يتصف بعقدة أوديب ، وعندما يجمد النمو عند المستوى الثالث تكون جاذبية الفرد نحو أفراد الجنس الآخر . ويصل الأشخاص الأسوياء إلى مرحلة خامسة هي حب الحياة أو هي ما يُطلق عليه الحب الخلاق أو الحب المبدع ، حيث يتوحد الزوج مع شخصية زوجته ويستغرقان في أداء رسالتهما في تربية أبنائهما مؤسسين منزلاً سعيدًا هادئًا ويخوضان حياة عملية ناجحة .

أما إذا تزوج الشاب وكان على نرجسيته ، فإنه يتعذر عليه أن يتكيف مع شريكة حياته ، حيث يسيطر على سلوكه شعور بالإعجاب الشديد بذاته والافتتان بها والمبالغة في تقدير محاسنه ومزاياه وصفاته إلى حد الغرور البغيض ، الأمر الذي يجعل ، لا زوجته فحسب ، وإنما المحيطين به جميعًا ينفرون منه .

وهناك حيل دفاعية تنبع من النزعات النرجسية ، وتتمثل في عادة الفرد في اختلاق أعذار لأخطائه مهما كانت مسئوليته الحقيقية عن هذه الأخطاء ، بل إن هذه الحيلة الدفاعية قد توجد مصاحبة للسلوك القهري غير المسئول ، ذلك السلوك الذي يجد الفرد نفسه مضطرًا لارتكابه ، ولكنه ينم عن عدم إحساسه بالمسئولية ـ وفي واقع الحال يدل تحليل هؤلاء الأشخاص النرجسيين عن عدم وجود مشاعر النقص والدونية عندهم ، وكذلك الشعور بعدم الملائمة أو عدم الكفاءة . كما أن هذه الحيلة تعمل لحماية الفرد من مشاعر الأثم والذنب ولوم الذات وتأنيبها بعد الإتيان بأعمال غير مسئولة .

ويُقال أن وجود درجة ما من الافتتان بالذات أو حب الذات وجنونها أو الولع والشغف بها تفيد في تشجيع الفرد على القيام بعمله والانتهاء من إنجازاته ، ذلك لأن اعتقاد الفرد بأن عمله على جانب كبير من الأهمية يبرر له أن يبذل أقصى درجة من الجهد والطاقة نحو هذا العمل . ومن هنا فإن ارتباطًا بين التحصيل المرتفع والشعور المرتفع باحترام الذات أمر متوقع .

وفي تفسير فرويد لنشأة الفصام يرجعه إلى ارتداد المريض إلى النرجسية الأولية أي إلى مرحلة مبكرة من المرحلة الفمية أي تلك المرحلة التي تتركز كل لذة الطفل في فمه . وذلك قبل أن تنفصل أو تتمايز الذات الوسطى عن الذات الدنيا . أو بالعودة إلى النرجسية فإن الفصامي يفقد الاتصال بالعالم الخارجي وتنسحب الطاقة الحيوية عنده من الالتصاق بموضوعات العالم الخارجي وتنكمش أو تنطوي في ذاته . ويذهب فرويد إلى القول بأن سبب هذا النكوص أو الارتداد هو زيادة كثافة الدوافع النابعة من الذات الدنيا بالمفهوم الفرويدي وهي مستودع الرغبات والدوافع الشهوانية والجنسية والبدائية والعدوانية ، وأن الهدف الأكبر لتلك الذات الحيوانية هو الإشباع من الملذات والشهوات . أما علماء النفس التحليليون المعاصرون فإنهم يعطون أهمية وأولوية لدوافع العدوان والتمرد بتمهيدات دوافع الذات الدنيا المكثفة سواء حركت وأثارت الفصام أو العصاب النفسي ، أي إن كان ذلك يعتمد على قوة الذات الوسطى وصلابتها وقوة احتمالها وتصديها للتهديدات الخارجية ، ففي حالة العصابيين توجد ذات وسطى أكثر استقرارًا وثباتًا ، ومن ثم فإنها لا ترتد إلى الأولى من مراحل النمو النفسي ، وسوف لا تفقد الذات الوسطى اتصالها بعالم الحقيقة ، أما في حالة الفصام فإن الذات الوسطى تُصاب بالضعف والوهن والكلال ومن ثم يرتد الفرد إلى المراحل الأولى من النمو.

هذه هي عبادة الذات أو عشقها والولع بها في صورتها المرضية ، ولكن الملاحظة اليومية تكشف عن وجود حالات خفيفة وبسيطة من النزعات النرجسية تظهر في السلوك لدى الأشخاص العاديين ، من ذلك المبالغة في رياء الذات أو الإطراء عليها ، وفي حديث البعض عن ذاته والإكثار من المديح وعن الأعمال وعن "الأمجاد" والإنجازات التي أنجزها المتحدث وذلك بصورة تبعث على ملل السامع واشمئزازه ونفوره .

ويبلغ إعجاب بعض علمائنا وأساتذة الجامعات بإنتاجهم العلمي الحد الذي لا يقرأون إنتاج زملائهم من العلماء العرب ويقصرون طلابهم على الإطلاع على مؤلفاتهم وحدهم ودون سواهم .

ما أحرانا أن نلتزم الواقعية والموضوعية في الحكم على الأشياء والناس ، وفي تقدير ذواتنا وجهودنا وجهود الغير ومن ثم الاستفادة من علمهم وإنجازاتهم دون التحيز الأعمى لكل ما هو ذاتي .

أثر الهدي الإسلامي في الوقاية من انحراف النرجسية :

الإنسان اجتماعي بطبعه ، وقد عزز إسلامنا الخالد هذه الصفة في الإنسان فدعاه إلى الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعتهم والتعاون معهم والاتحاد وإياهم . ومن ذلك حضور مجالس الخير والذكر ، وعيادة المرضى وحضور الجنائز ومؤاساة المحتاجين وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإرشاد جاهلهم . وأمرنا إسلامنا الخالد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجدال بالحسنى ، وأيضًا قمع النفس عن الإيذاء والتدرب على الصبر والاحتمال والاختلاط بالناس في وجوه الخير والنفع ، وهو الأمر الذي كان عليه رسولنا الكريم ﷺ ، وسائر الأنبياء ، وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم ، وهو رأي أكثر العلماء والفقهاء ومنهم الشافعي وأحمد وغيرهما . وذلك لقول الله عز وجل :

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة / 2) .

وقول القرآن الكريم مخاطبًا رسولنا الكريم :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء / 215) .

دعوة للتواضع ونبذ الكبر والتعالي وهما من السمات التي تقود للنرجسية وحب الذات وفي ذلك أيضًا قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة / 54) .

فالمسلم مدعو للتواضع مع المؤمنين . ومعيار التفوق ليس في الأصل أو الجنس أو السلالة أو الطبقة الاجتماعية أو الجاه والثراء والسلطان ، وإنما هو التقوى والخوف من الله تعالى كما في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات / 13) .

والمسلم مدعو للبُعد عن الغرور كما في قوله تعالى :

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم / 32) .

وفي الدعوة للبُعد عن الكبر والتعالي يقول القرآن الكريم :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ (الأعراف / 48-49) .

وفي الدعوة للتواضع يقول الرسول الكريم ﷺ : « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » رواه الإمام مسلم .

فالبغي والفخر والكبر من السمات الذميمة في التصور الإسلامي . ولقد جاء في الهدي النبوي المطهر : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد إلا رفعه الله » رواه الإمام مسلم . وكان الرسول ﷺ يسلم على الصبية وكان الرسول في بيته في خدمة أهله . ومن باب التواضع كان أنبياء الله يعملون في مهن بسيطة كالرعي أو النجارة أو الحدادة وعن الرسول ﷺ قوله : « ما بعث الله نبيًا إلا يرعى الغنم ، قال الصحابة ، وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم أرعاها على قراريط لأهل مكة » رواه الإمام البخاري .

وفي تحريم الكبر والعجب يقول الهدي القرآني الخالد .

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص / 83) .

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (الإسراء / 37) .

وفي الدعوة للتوسط والاعتدال قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان / 18) .

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ (القصص / 76-81) .

وفي بيان فضل التواضع يقول رسولنا الكريم ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ويعني الكبر بطر الحق وغمط الناس ، أي احتقار الغير . وفي هذا الصدد يقول الحديث النبوي الشريف : « ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ مستكبر » رواه الإمام مسلم . وقوله ﷺ : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا » رواه الإمام مسلم .

فنحن معشر المسلمين مدعوّن لنبذ العجب والغرور والكبر وهما مما يبعد الإنسان عن الكمال وهما من أعظم المهالك في الحال والمآل ، فكم من نعمة انقلبت بهما نقمة ، وكم من عـ صار بهما ذلاً وكم من قوة أصبحت بهما ضعفًا ولذلك جاء الكتاب والسنة بتحريمهما والتنف منهما والتحذير منهما كما في قوله تعالى :

﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (الحديد / 14) .

وقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ (الانفطار / 6) .

وقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ (التوبة / 25) .

وفي ذلك الإعجاب بالذات يقول الرسول الكريم ﷺ : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » رواه الإمام الطبراني . وقوله ﷺ : إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك » رواه الإمام الترمذي . وقوله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني » رواه الإمام البخاري .

وعلى ذلك فالمسلم عليه أن يتواضع في غير مذلة ولا مهانة ، والتواضع من أخلاقه المثالية وصفاته العالية ، كما أن الكبر ليس له ، ولا ينبغي لمثله ، إذ المسلم يتواضع يرتفع ولا يتكبر لئلا ينخفض إذ سنه الله تعالى جاريه في رفع المتواضعين له ، فالتواضع يجب أن يكون خلق المسلمين وخاصة في هذه الأيام العصيبة .

المراجع :

1) القرآن الكريم .
2) صحيح الإمام مسلم .
3) صحيح الإمام البخاري .
4) صحيح الإمام الترمذي .
5) أبو بكر جابر الجزائري ، (1964) ، مناهج المسلم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
6) عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (1981) ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت .